جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
دراسات اسلامية معاصرة / العدد 47 / آذار 2026

البحث الدلالي في تفسير مفاهيم القرآن للعلامة جعفر السبحاني (آيات عصمة الأنبياء أنموذجا)

Semantic research in the interpretation of Qur'anic concepts by Allamah Ja'far al-Subhani (verses on the infallibility of the prophets as a model)

م.د ميثم عزيز جبر
Dr. Maitham Aziz Jabr

كلية الإمام الكاظم (ع) للعلوم الإسلامية الجامعة / أقسام البصرة
Imam Al-Kadhim (peace be up on him) College for Islamic Sciences University / Basra Departments

الكلمات المفتاحية: البحث الدلالي، تفسير مفاهيم القرآن، العلّامة جعفر السبحاني، عصمة الأنبياء.
Keywords: semantic research, interpretation of Quranic concepts, scholar Ja'far al-Subhani, infallibility of the prophets.

الملخص:

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على آليات البحث اللغوي الدلالي للمفسّر، واخترتُ آيات عصمة الأنبياء محوراً للبحث؛ لِمَا له من أهميّة في عقيدة المسلمين، وحاول البحث اثبات عصمة الأنبياء ودفع الشبهات المتوهمة عنهم وتنزيههم عن طريق آليات التحليل اللغوي لنصوص القرآن الكريم على مستوى المفردة والتركيب، فجعلته مبحثين: الأول: الدلالة التي تخصُّ المفردة القرآنية، بالرجوع إلى الدلالة اللغوية والتفسيرية للمفردات، والثاني: يخصُّ دلالة التركيب القرآنيّ، وفيه مطالب كالجملة الشرطية، وارجاع الضمير، وبيان نوع الإسناد، واطلاق الأمر، وقد توصّل البحث إلى نتائج أهمها: أنّ المصنف بذل جهداً في توظيف المفاهيم اللغوية؛ لتحليل النصوص القرآنية من جهة المفرد والتركيب، وصولاً إلى الدلالة في اثبات عصمة الأنبياء، وتنزيههم عمّا لا يليق بشأنهم ومكانتهم، وكان منهج البحث وصفيّاً استقرائيّاً، ومقارناً أحياناً مع آراء المفسرين في بعض المواضع.

Abstract:

The research aims to shed light on the mechanisms of linguistic semantic research for the interpreter. I chose the verses of the infallibility of the prophets as the focus of the research, due to its importance in the Muslim faith. The research attempted to prove the infallibility of the prophets and dispel the doubts imagined about them and their sanctification through the mechanisms of linguistic analysis of the texts of the Holy Quran at the level of the word and the structure. I made it into two topics: The first: the meaning specific to the Quranic word, by referring to the linguistic and interpretive meaning of the words, and the second: it concerns the meaning of the Quranic structure, and it contains demands such as the conditional sentence, referring the pronoun, explaining the type of attribution, and issuing the command. The research reached the most important results: that the author made an effort in employing linguistic concepts; To analyze the Qur'anic texts from the perspective of the individual and the structure, to arrive at the significance in proving the infallibility of the prophets, and their exoneration from what is not befitting their status and position. The research method was descriptive and inductive, and sometimes comparative with the opinions of the commentators in some places.

المقدمة:

الحمدلله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أبي القاسم محمدٍ وآلهِ الطيبين الطاهرين، وبعد. عندما طالعتُ كتاب " مفاهيم القرآن " وجدتُ فيه مادة دلالية وفيرة جديرة بالبحث والدراسة، وقد ألّف المصنف هذا الكتاب ليكون في عداد التفاسير الموضوعية التي جمع فيها مسائل العقيدة الإسلامية وِفق المنظور القرآنيّ، فاخترتُ منه باباً يخصُّ عصمة الأنبياء لِمَا فيه من الدلالة المكثّفة والتحليل اللغوي الواسع، وهذه الآيات ما بين مُثبتة للعصمة، وأخرى ظاهرها يوهم عدم عصمتهم؛ لذا تتبعتُ المصنّف في هذه البحث، فوجدته قد عمل على محورين: الأول: تحليل الآيات التي تؤكّد عصمة الأنبياء عموماً والنبي الخاتم صلى اله عليه وآله خصوصاً، وإثبات العصمة لهم، والمحور الثاني: هو تفسير الآيات التي توحي ظاهرها بتعرّض الأنبياء للخطأ والمعصية،

وكان جهد المصنف في المحور الثاني أكثر؛ لأهمية الموضوع وخطورته، فتجويز الخطأ للنبي يعني تجويز الخطأ لغيره من باب أولى، وهذا يناقض مبدأ الرسالات السماوية الداعية إلى طاعة الله والتوحيد والتحلّي بمكارم الأخلاق، فكان عمله تحليل تلك النصوص لغوياً، وتحديد الدلالة المطلوبة، بعد ارجاع تلك الآيات المتشابهات إلى نظيراتها من الآيات المحكمات، فالقرآن يفسّر بعضه بعضاً، وكان عملي هو بحث تلك الدلالة اللغوية التي أفاد منها المصنف في تفسير الآيات القرآنية، وكان على مستويين، الأول: البحث في المفردة القرآنية، ابتداءً من معناها اللغوي المعجمي، وانتهاءً بدلالتها التفسيرية في القرآن الكريم، والثاني: هو البحث في التركيب القرآني، وما أفاد منه المصنف من دلالات تركيبية لتحليل النصّ القرآنيّ؛ لذا جعلتُ البحث موزّعاً على مبحثين: الأول: البحث الدلالي في المفردة القرآنيّة، والثاني: البحث الدلالي في التركيب القرآنيّ، و قد اعتمدت المنهج الوصفي الاستقرائي بالدرجة الأساس، مع اللجوء أحياناً إلى المقارنة مع آراء المفسرين من قبله، وبحسب التفصيل الآتي:

التمهيد: اذكر فيه الأمور الآتية:

أوّلاً: المقصود بالبحث الدلالي: المقصود به هو كشف المعاني المترشحة من تلك الإشارات اللغوية في النصّ القرآني، سواء أكان على مستوى الكلمة الواحدة، أم على مستوى التركيب.

ثانياً: التعريف بكتاب " مفاهيم القرآن ": وهو من الكُتُب المهمة التي تمثّل بواكير التفسير الموضوعي للقرآن الكريم في القرن المعاصر، جمعَ فيه المصنف كل مسائل العقيدة الإسلامية، من التوحيد والصفات الإلهيّة، والنبوة وما يتعلق بها من العصمة، والإمامة، والحكومة الاسلامية، والمعاد وما يتعلق بها من مباحث أخرى فرعية، في عشرة مجلدات، درسها المصنف من وجهة نظر قرآنيّة، باعتماد المنهج المتكامل في الرجوع إلى القرآن نفسه، والروايات المفسّرة لتلك الآيات، والتحليل اللغوي، والقرائن العقلية والمنطقية، وغيرها[1].

ثالثاً: التعريف بالمصنف " العلّامة جعفر السبحاني": "هو الشيخ جعفر بن العلامة الشيخ محمد حسين السبحاني من كبار علماء تبريز العاملين في إيران ولد في بلدة تبريز 1347هـ في وسط أسرة ذات علم وتقوى، قرأ الأدب الفارسي والرياضيات ومبادئ الحساب مبكراً ثم قرأ بعض كتب المقدمات العلمية، وفي سنة 1361هـ التحق بالجامعة العلمية في تبريز فقرأ فيها مقدمات العلوم العربية نحواً وصرفاً وبلاغة وقرأ المنطق وأصول الفقه ومبادئ الفقه الإمامي وذلك على يد نخبة من الأساتذة المعروفين كالشيخ علي أكبر الأهري والشيخ محمد علي المدرس صاحب ريحانة الأدب مضافاً إلى والده رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، فقد درس على يده مقدمات الفقه والأصول ثم بعضًا من رسائل الشيخ المقدس مرتضى الأنصاري المسماة بفرائد الأصول، ثم بعد ذلك التحق بالجامعة الإسلامية الكبرى في مدينة قم المقدسة، فأكمل درس الرسائل، ثُمّ حضر البحث الخارج في الفقه والأصول على يد نُخبة من كبار العلماء أمثال السيد حسين البروجردي مرجع الطائفة آنذاك في ايران رضوان الله تعالى عليه والسيد المقدس الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه والسيد المقدس محمد حسين الطباطبائي صاحب تفسير الميزان، فكانت السبب في بلوغه مرتبة الاجتهاد وشرع في إلقاء المحاضرات والدروس الفكرية والدينية في مختلف الفنون العلمية المختلفة"[2].

-مؤلفاته: تميّز الشيخ السبحاني بقدرة علمية عالية وقلم يتدفق ويفيض علماً وحكمة، ومن أبرز انتاجاته العلمية: "موسوعة بحوث في الملل والنحل، الإلهيات، تفسير القرآن، رسائل ومقالات، أصول الفقه المقارن، نظرية المعرفة، المناهج التفسيرية في علوم القرآن،كليات في علم الرجال، أصول الحديث وأحكامه، المغني في دروس العقيدة،وغيرها، أضف إلى ذلك إشرافه على المؤلفات العلمية الصادرة عن مؤسسة الإمام الصادق منها: موسوعة طبقات الفقهاء،ومعجم التراث الكلامي،وموسوعة طبقات المتكلمين"[3].

رابعاً: المقصود بعصمة الأنبياء: وهو مصطلح عقدي يُقصد به: امتناع الأنبياء عن اقتراف المعاصي والذنوب الموجبة لسخط الله، بل لا يخالفون أمر الله تعالى أبداً وهم يفعلون ما يؤمرون به ولا يفكرون بالمعصية من الأساس؛ لأنّ الله تعالى اختارهم لرسالته السماوية بعد أنّ طهرهم واصطفاهم؛ ليكونوا قدوة للبشرية في الطاعة والخُلق القويم، وعبّر عنها بعضهم بأنّها ملكة نفسانية يلهمها الله أنبياءه تمنعهم عن المعصية وأداء أعمالهم الاختيارية صواباً وطاعةً[4].

المبحث الأول: دلالة المفردة القرآنيّة: عمل المصنف في تحليل دلالة المفردات التي تتعلق بموضوع البحث، وخصوصاً التي يحمل ظاهرها معنىً يغاير العصمة، وكان تحليله على مستويين: الأول: المستوى اللغوي: في رجوعه إلى كتب اللغة كالصحاح للجوهري ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس و لسان العرب لابن منظور وغيرها، والمستوى الثاني: الدلالة التفسيرية للكلمة في سياق الآية، وكان بحثي يدور في كشف الدلالة المُختارة لدى المصنف إن كان المعنى اللغوي المتقدّم نفسه، أو استناداً إلى الدلالة لدى المفسرين بوجود الكلمة في سياق الآيات، واكتشاف وجه الربط بين الدلالتين إن أمكن، وقد اخترتُ نماذج من مختارات المصنف، منها الكلمات الآتية:

1- **كلمة(الرصد):** في قوله تعالى: ((عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا () إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا () لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا))(26-28)، فقد نسب هذه الكلمة (الرصد) إلى الرسول المبلغ عن الله تعالى رسالته، وحدّد حيثيته وأحاطته بالرسول من بين يديه ومن خلفه. وقد بيّن المصنف معنى الكلمة، فقال: الرصد: هو الحارس الحافظ يُطلق على الجمع والمفرد[5]، وعندما نرجع إلى كتب اللغة نجد أنّ المعنى اللغوي للكلمة يختلف عمّا أختاره المصنف، فذكر ابن فارس: أنّ أصل هذه الكلمة يدلُّ على التهيؤ لِرقبة شيء على مسلكه، ورصدتَهُ؛أي: ترقّبتُه [6]، والراصد بالشيء: الراقب له، والترصّدُ: الترقّب[7]، وذكر الأصفهاني: أنّ الرصد هو الاستعداد للترقُّب، والرصد يُقال للراصد الواحد والجماعة على السواء، والمرصد موضع الرصد، قال تعالى: ((فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ))(التوبة5)، وهو الطريق، والمرصاد مثله[8]، ويرى العلّامة مصطفوي بعد الجمع بين آراء اللغويين: أنّ الأصل الواحد في هذه المادة هو التهيؤ والانتظار لشيء، وفي تفسير الآية مطلع البحث، قال: أنّ الرسول أعمّ من الأنبياء، فهو يشمل كلّ مَن يُكلّف برسالة سماوية، سواء أكان انساناً أو ملكاً، وأمّا معنى(رصداً)، فتُفسّر بالترقّب، أي أنّ الرسول في رسالته واقع تحت الرُقبة والمواظبة والسلطة التامّة[9].

وعندما نرجع إلى آراء المفسرين في هذه الكلمة نجد أن الزمخشري قد فسّرها بالحرس، كما هو رأي المصنف، فذكر: أنّ الله يسلك من بين يدي الرسول ومن خلفه رصداً حفَظَةً من الملائكة يحفظونه من الشياطين يطردونهم عنه ويعصمونه من وساوسهم، حتى يبلغ ما أوحى به إليه[10]، ومثل هذا الرأي لابن عاشور، وأضاف: انّ التعبير بـ "يسلك"، دالٌ على الإدخال؛ أي الإيصال المباشر تشبيهاً بالدخول في الشيء، بحيث لا مصرفَ له عنه[11]، فهذا الرأي الذي يراه المصنف كما ذكره المفسرون قبله، وقد استشهد برأي العلّامة الطباطبائي في ذلك، فقال: إنّ تعبير الآية الشريفة يدلُّ على أنّ الوحي الإلهيّ محفوظ من صدوره من الوحي إلى بلوغه للناس، وقد أشار بقوله: (من خلفه) دليلٌ على مصونيته من جهة صدوره من مصدره إلى أن ينتهي بالرسول، وعندما تلقاه الرسول من ملك الوحي، بحيث لا يغلط فيه الرسول ولا يشتبه عليه، ولا ينساه، وكذلك قوله: (من بين يديه) اشارة إلى مصونيته في مسيره من الرسول حتى ينتهي إلى الناس، وهو ما نسميه التأييد بالعصمة في أخذ الوحي من ربّه وفي حفظه وفي تبليغه للناس[12]، وذكر ابن عاشور هذا المعنى بقوله: المراد من قوله: (من بين يديه ومن خلفه) الكناية عن الجهات جميعها[13].

2- كلمة (العصمة): ذكر الخليل أنّ كلمة العصمة تدلُّ على المنع، فاعتصمتُ بالله؛ أي: امتنعتُ به من الشرّ[14]، فالعين والصاد والميم أصلٌ واحدٌ يدلُّ على إمساك ومنع وملازمة[15]، وعصم الله عبده؛ أي: منعه ووقاه[16].

أمّا في سياق الآيات، فقد ذكر الاصفهاني أن العاصم هو المانع في قوله تعالى: ((قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ))(هود43)، وبعضهم فسرها بمعصوم: أي ممنوع من أمر الله، والاعتصام: التمسك بالشيء، ((وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا))(آل عمران103)، واستعصم: طلب ما يعتصم به؛ أي: يمتنع به، في قوله: ((وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ))(يوسف32)، وعصمة الأنبياء: حفظ الله إيّاهم بما خصّهم من صفاء الجوهر، وبما اولاهم من الفضائل الجسمية، والنصرة، وحفظ قلوبهم[17]، ((وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ))(المائدة67)، أي: يحرسك ويحفظك منهم[18]، وللتوفيق بين المعنى اللغوي للكلمة ومعناها في السياق القرآنيّ، ذكر العلّامة مصطفوي: أنّ أصل هذه الكلمة يدلُّ على الحفظ مع الدفاع، وليس الحفظ فقط؛ لأنّ هذه المراد يُلاحظ فيه المواجهة بالشرّ والضرر، فيلزم الحفظ مع دفع الخطر والضرّ[19]، وهذا الرأي هو الذي توصّل إليه المصنف في تفسير كلمة (العصمة) ومشتقاتها في القرآن الكريم، فيرى أنّ جميعها يرجع إلى المعنى اللغوي المذكور وقد استعمله القرآن بسياقات مختلفة إلّا أنّها لم تنزح عن المعنى اللغوي للكلمة، فالعصمة هي صيانة الانسان من الخطأ والعصيان، والفكر والعزم، فالمعصوم مَن لا يخطئ في حياته، ولا يعصي الله ما أمره، ولا يفكر فيهما[20].

3- **كلمة (المُخلَصين) بفتح اللام:** ذكر المصنف دليلاً آخراً على عصمة الأنبياء وهو قوله تعالى: ((قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ () إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ))(ص82-83)، فظاهر الآية أنّ الله تعالى نفى سلطة وسوسة الشيطان واغواءه عن المُخلَصين بفتح اللام، ونحتاج إلى دليل آخر ليرتبط هذا الكلام بالأنبياء؛ لذا يذكر المصنف الآية: ((وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ () إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ () وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ () وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ))(ص45-

48)، فنسب الخلوص للأنبياء العِظام، فيتحقق الترابط بين الايتين، وتكون الدلالة: أنّ الأنبياء معصومون من اغوائات الشيطان وغروره؛ لأنّهم مُخلَصون، وفرقٌ بين مُخلِصين بكسر اللام، ومُخلَصين بفتح اللام، فالأول اسم فاعل يدلُّ على وقوع الإخلاص منهم، في حين كلمة مُخلَصين بفتح اللام اسم مفعول يدلُّ على أنّ الخلوص لم يقع منهم، بل وقع عليهم من الله، إذ استخلصهم واصطفاهم من بين عباده، وذكر العلّامة مصطفوي: أنّ المُخلِصين (بكسر اللام)هم الموحدّون، أمّا المُخلَصون (بفتح اللام) هم المُختارون من الله، وذكر علماء اللغة معنى كلمة (خَلُصَ) بأنّها تدلُّ على تنقية الشيء وتهذيبه[21]، وأخلص دينه؛ أي: أمحضه، وأخلص الشيء: اختاره، والمُخلِصون الذين أخلصوا العبادة لله، والمُخلَصون الذين أخلصهم الله تعالى، واصطفاهم، ((وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا))(مريم51)[22]، والخالص: مازالَ عنه شوبه بعد أن كان فيه[23]، وذكر المفسرون كلاماً مشابهاً، منها ما ذكره الفخر الرازي، انّ كلمة (مُخلَصاً) إذا قُرئ بفتح اللام فهو من الاصطفاء والاجتباء، كأنّ الله تعالى اصطفاه واستخلصه[24]، والنتيجة آيات أخرى تؤكّد أنّ المُخلصين قد صرف عنهم كل ما يشينهم، ((كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ))(يوسف24).

ويجدر الإشارة الى أنّه تُوجد ألفاظ أخرى تشير إلى عصمة الأنبياء ترتبط ارتباطاً وثيقاً بكلمة (المُخلَصين) بفتح اللام، حتى عدّها بعضهم من المترادفات، وهما: (المُصطفَين) بفتح الفاء، و(اجتبيناه)، والأولى وردت في القرآن في مواضع عديدة، منها قوله تعالى: ((وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ))(البقرة 130)، وقد أُخذت في اللغة من كلمة (صفو)، وذكر الأزهري: الصفو: نقيض الكدر،، وصفوة كلّ شيء: خالصه، والاصطفاء: الاختيار، افتعال من الصفوة، ومنه الأنبياء المُصطفَون؛ لأنّهم أُختيروا من الله[25]، وكذلك كلمة (الإجتباء)، التي وردت في مواضع عديدة في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ((وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ () وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ () وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ))(الانعام 85-87)، وهي مشتقة من الجذر (جبى)، الذي يدلُّ على الانتخاب والاستخراج، و(الإجتباء) بمعنى الافتعال، فإنّها تدلُّ على الدقة والامتياز الخاص في الإختيار[26]، وقوله: وكذلك يجتبيك ربُّك، معناه: يختارك ويصطفيك[27]، ويبدو مما تقدّم ظهور الترادف بين هذه المصطلحات (الاستخلاص، الاصطفاء، الإجتباء)، وكُلُّها تشير إلى اختيار الله تعالى لبعض عباده ليكونوا رُسُلاً، فهم صفوة الناس وقدوتهم وبالدلالة الإلزامية فهذا الأمر لا يتحقّق إلّا بالعصمة والتطهير من الذنوب والمعاصي.

المبحث الثاني: دلالة التركيب القرآنيّ: وكان عمل المصنف فيه هو تحليل التركيب القرآنيّ؛ لاستخلاص الدلالة التي تُثبت عصمة الأنبياء، وتنفي عنهم كلّ ما لا يليق بشأنهم المعنوي، وعند استقصاء أسلوب المصنف في هذا النوع من الدلالة، وجدته قد عالج تلك المسألة العقديّة، باستعمال أساليب التركيب المختلفة، كالجملة الشرطية المُعلّقة، التي ينتفي جزاؤها عند انتفاء شرطها، وتعيين نوع الاسناد بين الفعل والفاعل، حقيقي أو مجازي، وتوجيه مرجع الضمير في الجُمل، ودلالة إطلاق الأمر والنهي، وبحسب التفصيل الآتي:

أولاً: الجملة الشرطية: والشرط هو تعليق شيء بشيء، بحيث إذا وُجد الأول وُجد الثاني، وفي الحقيقة أنّ الجملة الشرطية مركبة تتألف من جملتين مترابطتين، بينهما أداة شرط رابطة تُسمّى الأولى: جملة الشرط، لا تكون إلّا جملة فعلية، والثانية: جزاء الشرط أو جواب الشرط، وتكون إمّا فعلية أو اسمية، وأدوات الشرط كثيرة، منها: إن، إذا، ما، مهما، كيفما، لولا، لو، وغيرها[28]، والمهم في هذا البحث هو الدلالة التعليقية للجملة الشرطية، فالجزاء يتوقف على الشرط، إن انتفى الشرط ينتفي معه الجزاء، مثلاً: نقول: إن تدرس تنجح، فالنجاح متوقف على الدراسة، فإذا انتفى الشرط لم يتحقق الجزاء، وكما في قوله تعالى: ((وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ))(هود91)، أي: رجمناك لولا وجود رهطك، وبما أنّ رهطه موجودون، فلم يرجموه، وعلى هذا فقس، وقد افاد المصنف من دلالة هذا التركيب للجملة الشرطية التي وردت في مواضع عديدة في بحث عصمة الأنبياء، في دفع كثير من الشبهات التي تُنسب للأنبياء العِظام، بانتفاء جزاء الشرط بعد انتفاء الشرط نفسه، بالنتيجة مضمون الجملة (التي يوهم ظاهرها نسبة النقص أو التقصير للأنبياء) لا يُنسب إلى الأنبياء عليهم السلام، وقد اخترتُ بعضاً منها، وبحسب التفصيل الآتي:

1- **جملة (ولئن اتبعت أهواءهم...ما لكَ من الله من ولي ولا نصير):** في قوله تعالى: ((وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ))(البقرة120)، تكرر مثله في قوله تعالى: ((وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ...إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ))(البقرة145)، وكذلك قوله تعالى: ((وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ...مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ))(الرعد37)، وهذه الجملة لا تدلُّ على ما يشين من شخص النبي كإتباع الهوى أو غير ذلك؛ لأنّ مضمونها منتفي بانتفاء شرطها، ويُطرح السؤال: لماذا عبّر القرآن الكريم عن هذا الأمر وغيره من الخطابات للأنبياء بأسلوب القضية الشرطية ؟ مثل الآيات المتقدمة والتي تحمل أسلوب التهديد والوعيد، وقد أجاب المصنف عن ذلك بإجابات عديدة، منها: أنّ أسلوب التهديد على المخالفة أو المعصية، لا يدلُّ على ارتكابها، وهذه الآيات التي تتكلم بلسان حادّ، وتنهى عن اتباع أهواء المشركين، لا يدلُّ على وجود أرضية للمعصية في نفس النبي؛ لأنّها جاءت على نحو القضية الشرطية المعلقة والمنتفية مضموناً لانتفاء شرطها، وهذه الآيات تخاطب الرسول باعتباره بشر له نوازع وغرائز، وهذا الخطاب لا يكون دليلاً على إمكان وقوع المعصية منه بعدما تشرّف بالنبوة وجُهّز بالعصمة وعُزّز بالقرب والمحبة الإلهية، وتلك الآيات ذات طابع تربويّ، تهدف إلى تعريف الناس بتكاليفهم ووظائفهم أمام الله تعالى، فإذا كان النبي مُخاطباً بهذا الخطاب، يكون غيره من باب أولى، وفيه تلميح لغيرهم بعدم التورط في المخالفة والمعصية، فالخطاب فيه من باب: "إيّاك أعني واسمعي يا جاره "، فهذه الخطابات وإن كانت موجّهة إلى شخص النبي صلى الله عليه واله وسلّم، إلّا أنّ المقصود بها عامّة الناس والمكلفين، وإلّا فالنبي الأكرم مُنزّه عن الشرك فضلاً عن غيرها من المخالفات[29].

2- **جملة (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً):** وردت هذه الآية في خطاب النبي الأكرم صلى الله عليه واله وسلّم، في قوله تعالى: ((وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (73) وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (74) إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا))(الاسراء73-75)، وظاهر النصّ يحكي أنّ المشركين همّوا وقاربوا أن يزلّوا النبي صلى الله

عليه واله وسلّم ويصرفوه عن القرآن الذي أُحي إليه؛ ليفتري ويخترع على الله تعالى غير ما أُوحي إليه، ثُمّ لتولّوك وأظهروا محبتك، ولولا أن ثبتّنا قلبك على الحقّ والرشد بالعصمة؛ لقاربت أن تسكن إليهم بعض السكون، وتميل إليهم قليلاً؛ فتعطيهم بعض ما سألوك، وقد توعّد الله تعالى نبيّه إن فعل ذلك؛ لعذّبه عذاباً مضاعفاً في الدنيا والآخرة[30]، ومعنى (ليفتنوك)؛ أي: ليخدعوك، وذلك في ظنّهم، لا أنّهم قاربوا ذلك حقيقةً، فالنبي معصوم، لا يميل معهم عمّا أوحى الله تعالى إليه، فتلك المقاربة في زعمهم سببها رجاؤهم أن يفتري النبي الخاتم على الله غير ما أُوحي إليه، أو أن يضيف إلى الشريعة ما لم يُنزلّه عليه[31]، و(لولا) حرف امتناع لوجود، أي حرف امتناع جوابه لوجود شرطه[32]، وهذا المعنى الذي أفاد منه المصنف لدفع هذه الشبهة عن النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلّم، فذكر أنّ الجملة المتقدمة متكونة من جملتين: أحدهما: جملة الشرط، والأخرى: جزاء الشرط، وبما أنّ (لولا) تدلّ على امتناع الجزاء لوجود الشرط وهو التثبيت، وتقدير الكلام: لولا تثبيتنا إيّاك، لركنت إلى المشركين، فكان تثبيت الله تعالى له سبباً مانعاً من حصول ذلك الركون، وهذا الدليل بذاته هو دليل على عصمة النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلّم والعناية الخاصة به، وأنّ التثبيت في مجال التطبيق يستلزم عنه التثبيت في مجال التفكير أيضاً، فلا يستقيم عمل الإنسان ما لم يستقم تفكيره، أضف إلى ذلك: أنّ (كاد) تدلُّ على مقاربة الفعل، فكان معنى الآية قرب وقوعه في الفتنة، وهذا لا يدلُّ على الوقوع[33].

3- جملة (وهمَّ بها لولا أن رأى برهان ربّه): وردت في قصة يوسف في قوله تعالى: ((وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (23) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ))(يوسف23-24)، و الآيات المتقدمة تحكي جانباً ممّا ابتلى الله تعالى به نبيه يوسف عليه السلام، فقد تميّز بالجمال وحُسن الخُلُق مما جعله محبباً إلى النفوس، وطلبت منه ملكة العزيز الفحشاء، إلّا أنّه اجتاز هذا الاختبار بالنجاح وضرب لنا مثالاً يُقتدى به في العفة والطهارة وإيثار طاعة الله تعالى، ولكن بعض الجُمل في الآيات المتقدمة مثل: (وهمَّ بها) توحي بأنّه عليه السلام نوى ارتكاب الفاحشة والعياذ بالله، وهذا ممّا لا يتناسب مع عصمته، فالهمّ في اللغة بمعنى العزيمة، فذكر ابن منظور: همَّ بالشيء يهمُّ همّاً: نواه وأراده وعزم عليه[34]، وذكر المصنف أنّ همَّ بالشيء همّاً: نواه وأراده وعزم عليه، كما في قوله تعالى: ((وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا))(التوبة 74)، وفي تفسير هذه الآية: أنّ مجموعة من المنافقين عزموا على اغتيال النبي صلى الله عليه وآله وسلّم، ولكن لم ينالوا ذلك[35]، أضف إلى ذلك أنّ الهمين في الوردين بمعنى واحد، وبما أنّ هم العزيزة كان على نحو العزيمة، وجب أن نحمل معنى الهم في جانب يوسف عليه أيضاً، بدليل وحدة السياق، فلا يمكن أن نصرف الهم عند يوسف على معنى آخر من دون قرينة، وقد عالج المصنف هذا الاشكال بالرجوع إلى أصل تركيب الجملة، فالجملة اتسمت بأنّها تشكلّت على نمط من أشكال الجملة الخبرية المشروطة، فـ (لولا) هو امتناع الشيء لوجود غيره، ويدخل على الجملة الاسمية فيقع بعدها المبتدأ، ويكون جوابه قد سدّ مسدّ الخبر[36]، فهو حرف شرط غير جازم، ويُسمّى (حرف امتناع لوجود)؛ أي يمتنع جوابه لوجود شرطه، ولا يأتي بعد (لولا) ألّا مبتدأ خبره محذوف وجوباً[37]، وهذا ما أشار إليه المصنف؛ إذ ذكر أنّ همّ يوسف كان مشروطاً بعدم رؤية برهان الله تعالى، وبما أنّ يوسف قد رأى برهان ربّه؛ إذن لم يتحقّق

الهمّ منه بالأساس، وفي الآية محلّ البحث يؤوّل الكلام فيها إلى جملتين: الأولى مطلقة: (ولقد همّت به)، والثانية: مشروطة: (وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربّه)، وتقدير الجملة: لولا أن رأى يوسف برهان ربّه؛ لهمَّ بها، ولكنه رأى برهان ربّه، فهو لم يهمّ بها من الأصل، فالجملة المتقدمة(وهمّ بها) لا تدلُّ على تحقّق الهمّ؛ لأنّها ليست جملة منفصلة عمّا بعدها، بل قائمة مكان الجواب المشروط، فيكون الجزاء معلّقاً بالشرط، خصوصاً إذا عرفنا أنّ المقصود بالبرهان هو الحجة والسبب المفيد للعلم اليقين، الذي يجلي الحق ولا يدع مجالاً للريب، فهو علم حاصل عن انكشاف وشهود، يجرُّ النفس إلى الطاعة والمحبة لله تعالى، فلا يصرف نفسه عن ساحة القدس تعالى، إلى غيره من أمور الدنيا مما لا يستحق، وقد يُحذف الجواب ويدلُّ عليه السياق، أو الكلام المتقدّم، وهذا التعبير كثير الاستعمال في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ((وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ))(النور10)، أي؛ ولولا فضل الله عليكم ورحمته لهلكتم، ولكن السؤال المهمّ: لماذا عبّر القرآن بصورة الجملة الشرطية، وليس الخبرية المعهودة، وقد أجاب المصنف عن ذلك بقوله: إنّ هذا الاسلوب من إثبات القضايا الحقيقية يكون فيما إذا كانت هناك أرضيّة صالحة لتحقّق الجزاء، وإن لم يتحقّق لإنتفاء شرطه، ففي قضية يوسف عليه السلام، كانت أرضية الهمّ موجودة لتجهزّه بالقوى الشهوية وغيرها من قوى النفس، التي تمثّل عاملاً مساعداً لها، ولكن صارت تلك القوة الشهوية خائبة غير مؤثرة في شخصه بسبب رؤية برهان ربّه، وبتعبير آخر أنّ المحبة الإلهية هي التي ملأت وجوده وشغلت قلبه، ولم تترك لغيرها موضع[38].

ثانياً: عود الضمير: من المسائل المهمة في تحديد مرجع الضمير في سياق النصّ، والذي يُسهم في توجيه الدلالة بشكل صحيح؛ لأنّ ضمير الغائب خصوصاً صاحبه غير معروف؛ لأنّه غير حاضر ولا مُشاهد، فلابدّ من شيء يفسّره ويكشف غموضه، ويوضّح المراد منه، وكثير من الآيات القرآنية التي يشكل فهمها بسبب تحديد مرجع الضمير، والقاعدة عند النحاة فيه: أنّ الأصل في الضمير أن يعود على الاسم المتقدّم، وقد يعود على المتأخر لفظاً غذا كان متقدماً رتبةً، والمقصود بالمتقدم رتبةً كالفاعل الذي يتقدم رتبةً على المفعول به[39]، وإن أُختلف في مرجع الضمير، فذكروا: أنّ الضمير يعود على الأقرب، ولكن يجوز أن يعود على الأبعد مع وجود القرينة التي تؤيد ذلك[40]، وقد أفاد المصنف من هذه المسألة النحوية في توضيح كثير من دلالات الآيات التي تعتمد على كشف مرجع الضمير، وابعاد الشُبهات عن الأنبياء في بيان الدلالة الصحيحة المرتكزة على الأُسّس العلمية الصحيحة في تحديد مرجع الضمير، وقد أخترتُ منها ما يأتي:

1- **الضمير في (ظنّوا):** في قوله تعالى: ((حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ))(يوسف110)، وهذا الجانب الثاني من الآيات التي يوحي ظاهرها بعدم عصمة الرُسُل والأنبياء، وتوضيح الشبهة: أنّ الرسُل كانوا ينذرون قومهم، فبعضهم يستجيب للنداء وآخرون يصرّون على المخافة والعناد، وكان الرُسُل يعدون المؤمنين بالنصر من الله، ويوعدون الكفّار بالهلاك لكفرهم، ولكن لمّا تأخّر النصر الموعود من الله للمؤمنين والعقاب للكافرين، ظنَّ الرُسُل أنّهم قد كُذبوا فيما وُعدوا به من الله تعالى، وبطبيعة الحال، هذا الظنّ هو اعتقاد باطل لا يجتمع مع العصمة للأنبياء والرُسُل، وقد أُجيب هذا الإشكال بإجابات متعددة، وأحدُّ تلك الإجابات للمصنف هو في مرجع الضمير في الكلمات الثلاثة(ظنّوا، أنّهم، كُذبوا)،

فالكلام المتقدّم بناءً على أنّ مرجع الضمير في الكلمات الثلاثة واحد يعود على الرُسُل، ولكن وجوه أخرى في عود الضمير يمكن أن يرفع هذه الشبهة، منها:

أ- أنّ الضمير في (ظنّوا) يعود على الأمم أو الناس، وتقدير الكلام: ظنّ الأمم أنّ الرُسُل كُذبول في ما أخبروا به من نصر الله للمؤمنين، وإهلاك أعدائهم المعاندين، وهذا الرأي ذكره السيوطي، واختاره العلّامة الطباطبائي في تفسيره الميزان[41]، ولكن المصنف لم يقبل هذا الرأي؛ لأنّه خلاف الظاهر، ولا توجد قرينة تؤيد أنّ مرجع الضمير يعود على الناس، ولكن اقول: أنّ الرواية التفسيرية تُعدُّ قرينة خارجية على تفسير الآية، وإن كان خلاف الظاهر، وقد اعتمد المفسّران (السيوطي والطباطبائي) على روايات تُفسّر مرجع الضمير إلى الناس في كلمة (وظنّوا).

ب- الضمير يعود على الرسل، ولكن تفسير الظنّ بالهاجس القلبي أو الحديث النفسي، وليس الظنّ الذي فيه ترجيح أحد الطرفين، وهذا التفسير إختاره الزمخشري[42]، ولم يقبل به المصنف أيضاً؛ لأنه لا يناسب ساحة الأنبياء الذين تسددهم روح القدس وتحفظهم من الزلل في العمل والتفكير، فحديث النفس هذا لا يناسب مقام العصمة للأنبياء[43].

ج- أيضاً يعود الضمير في (ظنّوا) إلى الرُسُل، ولكن هناك تفسير آخر لكمة (ظنّوا)، ومضمونه: أنّ الظروف التي أحاطت بالرُسُل بلغت من الشدة والقسوة بحيث صارت تحكي بلسانها التكوينيّ عن أنّ النصر الموعود شبه لا يتحقّق، فهذا الظنّ الذي راود قلوب الرُسُل آنذاك، بحد ذاته ليس تكذيبا بوعد الله، وشبيهه قوله تعالى: ((وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87)))(الأنبياء87)، فقد دعا على قومه بالعذاب، لكنهم سرعان ما تابوا، وقد انصرف عنهم يونس مغاضباً، فظنّ أن لن نضيّق عليه، وكان الأولى به أن يصبر عليهم، وهذا الفعل هو ترك الأولى، وليس جرماً يُعاقب عليه[44].

وأرى أنّ هذا الرأي لا يختلف في جوهره عن الرأي الثاني، فما زال هذا الظنّ صادراً من قبل الرُسُل، وفيه استبطاء لوعد الله بنصره، فهو ظنّ غير لائق بمقام العصمة أيضاً، ويبقى الأمر الراجح عندي هو الرأي الأول الذي ينسب الظنّ للناس، وهو ما عليه الدليل من السُنّة الشريفة.

2- الضمير في (إنّي أحببتُ حُبَّ الخير عن ذكر ربّي): وردت في قصة النبي سليمان عليه السلام في قوله تعالى: ((إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ(31) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (32) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ))(ص31-33)، وقد ظهرت بعض التفسيرات التي لا تنسجم مع عصمة الأنبياء، ونُسب للنبي سليمان عليه السلام ما يليق بشأنه، فقد فسّر السيوطي في الدر المنثور: انّ النبي قد أحبّ المال والخيل وفضلّتهما على صلاة العصر، فشغلته عن أداء الصلاة في وقتها، فندم، وأمر أن يأتوا له بالخيل فعقرها بالسيف؛ لأنّها شغلته عن الصلاة [45]، والكلام مثله نقله السيد قطب، فذكر: أنّ النبي سليمان عليه السلام استعرض خيلاً له بالعشي، ففاته الصلاة التي كان يصليها قبل المغرب، فأمر أن يأتوا بالخيل، فجعل يضرب أعناقها وسيقانها جزاء ما شغلته عن ذكر الله[46]، وعلى رأيهم هذا سيكون عود الضمير مُختلف بحسب تفصيلهم، فـ(حُبَّ الخير) المقصود به المال والخيل، و(عن ذكر ربّي)، أي: آثرته على ذكر ربي،

أي على ذكر الصلاة، و(حتى توارت بالحجاب)، أي: الشمس غربت وغابت، و(ردُّوها عليّ)، أي: الشمس، وفيه نوع من التصرف التكويني، أو مخاطبة للملائكة، و(فطفق مسحاً بالسوق والأعناق)، أي: قطّع سيقان الخيل وأعناقها؛ لأنّها كانت سبباً في فوت صلاته[47].

وهذا التفسير فيه كثير من الأخطاء التي لا تتناسب مع الإنسان السوي، فكيفما بالنبي ! فيصوّر لنا هذا التفسير بأنّ النبي سليمان ارتكب ذنباً بترك الصلاة؛ لانشغاله بالخيل التي يحبُّها، وعندما ندم تصرّف كالمجنون –حاشاه– فأخذ بتقطيع أعناق الخيل وسيقانها !، فهذا التفسير غير معقول، ولكن المصنّف يردُّ هذه الشبهة ويفسّر النصّ القرآني تفسيراً صحيحاً يتناسب مع مكانة النبي سليمان عليه السلام، عن طريق تحليل النصّ من وجهة لغوية تحليلاً صحيحاً، وإرجاع الضمائر بشكل صحيح، وقد غفل من فسّر النصوص التي تمسّ سليمان عليه السلام بهذا التفسير، وقبل هذه الآيات ذكر الباري عزّ وجلّ قوله: ((وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ))(ص30)، فقد وصفه بأحسن وصف، وهو نِعمَ العبدُ، وأنّه أوّاب؛ أي: توّاب، وكثير الرجوع إلى الله تعالى، فهذا المقام العالي للنبي لا ينسجم مع ما تقدّم من تفسير، وقد استعان المصنف بمسألة عود الضمير؛ ليبيّن التفسير الصحيح للنصّ القرآنيّ المتقدّم، بعد أنّ بيّن معاني الكلمات القرآنيّة في هذه الآيات، فـ(الصافنات): جمع صافنة، وهي الخيل الواقفة على ثلاث قوائم، والواضعة طرف السنبك الرابع على الأرض حتى يكون على طرف الحافر، و(الجياد): جمع الجواد، وهي السراع من الخيل، كأنّها تجود بالركض، و(الخير): ضدّ الشرّ، ووقد يُطلق على المال، ولكن المراد منه في الآية: هي (الخيل)، والعرب تُسمّي الخيل خيراً، و(توارت بالحجاب)، أي: غابت عن بصره، و(طفق مسحاً بالسوق والأعناق) أي: شرعَ بمسح أعراف خيله وعراقيبها بيده، و(أحببتُ حُبَّ الخير عن ذكر ربّي) أي: أحببتُ حُبّ الخيل، وهذا الحبُّ ناشئ بسبب ذكر ربيّ،، وتقدير الكلام: أحببتُ الخير حُباً ناشئاً عن ذكر الله تعالى وأمره، حيث أمر عباده بالإعداد للجهاد ضد الشرك، ومن أهمّ وسائل الخيل والسيف؛ ولأجل ذلك قام سليمان عليه السلام بعرض خيله وقوته من أجل إعلاء ذكر الله تعالى، وهذا التفسير الصحيح الذي ينسجم مع عصمة النبي سليمان يتنافى مع ما تمّ ذكره من أنّ حُبّه للخيل كان سبباً في اعراضه عن ذكر الله، ولو كان فعلاً إيثاره الخيل على الصلاة،؛ لعبّر بـ(على) وليس (عن)، كما في قوله تعالى: ((فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى))(فُصّلت 17)، وبعد ما تمّ توضيحه من دلالات المفردات، يشرع المصنف في بيان مرجع الضمير في كلّ مما تقدم، فـ(توارت) يرجع إلى الخيل الصافنات، وليس إلى الشمس كما في بعض التفاسير المتقدمة، و(ردُّوها) يعود الضمير على الخيل الصافنات، وليس على الشمس المذكورة في بعض التفاسير، و(طفق مسحاً بالسوق والأعناق)، أي: شرع بالمسح وإمرار اليد على أعناق الخيل وسوقها، أي: سيقانها؛ تقديراً لركابها الذين أدّوا واجبهم بإعداد وسائل الجهاد، ويظهر من السياق أنّ النبي قام بعرض عسكري في هذه العشية من أجل الاستعداد للجهاد، ولمّا غابت عنه الجياد بركضها السريع حتى غابت عن نظره، أمر بردّها إليه، فشرع بمسح سوقها وأعناقها تقديراً لجهودهم، ولم يكن هذا العمل بطراً أو دنيويّاً حتى يؤاخذ عليه، بل هو عمل في سبيل اله تعالى، وهذا خلاف التفسير المغلوط الذي يقول معنى: مسحاً، أي: القطع، ولا دليل عليه، ولو كان هذا المعنى المقصود، لقال: ضرباً بالسوق والأعناق[48].

ثالثاً: الاسناد: لابدّ في الجملة من مسند ومسند إليه وإسناد؛ حتى تؤدي الجملة معنىً معيناً، وعُرِّف الإسناد: بأنّه ضمُّ كلمة أو ما يجري مجراها إلى أُخرى، ليفيد الحكم بأنّ مفهوم أحدهما ثابت لمفهوم الأخرى أو منفي عنه، والإسناد يأتي على نوعين: حقيقيّ ومجازيّ، فأمّا الحقيقيّ، فهو اسناد الفعل أو في معناه كالمصدر واسم الفاعل وغيره إلى ما هو له حقيقةً، كقولنا: شفى اللهُ المريضَ، وأمّا الإسناد المجازي، فهو: إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له في الحقيقة[49]. وقد أفاد المصنف من هذه المسألة في تحديد دلالة بعض النصوص القرآنيّة التي يوهم ظاهرها بعدم عصمة الأنبياء، بعد تحديد نوع الإسناد، هل كان على نحو الحقيقة أو المجاز، فآيات كثيرة نسميها متشابه أُختلف في تفسيرها بسبب الوقوف على نوع الاسناد، وقد اخترت من تحليل المصنف الدلالات الآتية:

1- جملة (بل فعله كبيرهم): وردت هذه الجملة على لسان ابراهيم عليه السلام في القرآن الكريم في قوله تعالى: ((قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ))(الأنبياء 63-64)، وظاهر الآية أنّ القوم سألوا ابراهيم: هل أنت مَن كسّر آلهتنا (الأصنام)؟ فأجاب: "بل " التي تفيد النفي والإضراب، " فعله كبيرهم هذا" وأشار إلى الصنم الأكبر، فاسألوهم إن كانوا ينطقون ؟ وهنا يُطرح إشكال مفاده: أنّ الجملة الخبرية " بل فعله كبيرهم" ليست مطابقة للواقع، مما يستلزم عنه نسبة الكذب إلى نبي الله ابراهيم عليه السلام، وحاشاه من ذلك، وللإجابة عن ذلك أورد المفسرون توجيهات عديدة، منها:

أ- انّ اسناد الفعل لكبير الأصنام هو اسناد مجازي، وليس حقيقي، وقد أُسند الفعل إلى كبيرهم على جهة المجاز؛ لأنّه كان سبباً في كسر هذه الأصنام، وهو تعظيمهم وعبادتهم له وللأصنام الأخرى، فقد اسند الفعل لكبيرهم، إذ كان تعظيمهم له أكثر من غيره من الأصنام، وهذا ما اختاره ابو حيان، ولم يذكره المصنف[50].

ب- أنّ الكلام الصادر من ابراهيم عليه السلام، لم يكن على نحو الجدّ، بل ساق الكلام على نحو الاستهزاء والتهكم بعبدة الأصنام؛ حتى ينتبهوا إلى بطلان عقيدتهم، وبما أنّ الكلام لم يُسق على نحو الجد والحقيقة، فلا يمكن أن نصفه بالكذب؛ لغياب المراد الجدي، وهذا ما اختاره المصنف، وذكره قبله الزمخشري، بقوله: هذا الأسلوب القرآني هو نوع من تعاريض الكلام ولطائفه، فلم يقصد أن ينسب ابراهيم الفعل لكبير الاصنام، إنّما قصد تقريره لنفسه واثباته لها، يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجّة وتبكيتهم[51]، فقد ذكر بعض البلاغيين وبعض المفسرين: أنّ الكذب هو مخالفة الكلام للاعتقاد[52]، وبعضهم اشترط في مفهوم الكذب مخالفة الكلام للواقع، وأيّد المفسّرون الرأي الأول عندما فسّروا الآية في قوله تعالى: ((إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ))(المنافقون1)، فقد وصفهم القرآن بالكذب مع أدائهم الشهادة؛ وذلك لأنّ الله يعلم ما في باطنهم ومعتقدهم المخالف لقولهم، فهم لا يعتقدون بنبوة الخاتم صلى الله عليه واله وسلّمَ ح لذا وصفهم بالكاذبين؛ لأنّ كلامهم لا يطابق معتقدهم، والشهادة كالحلف بالله تحتاج الصدق في النية[53]، وفي الحقيقة أنّ هذا التوجيه يمكن أن نرجعه إلى التوجيه الأوّل (إسناد الفعل لكبير الأصنام على نحو المجاز)؛ وذلك لأنّ المتكلم لم يقصد نسبة الفعل إلى الفاعل المذكور على نحو الحقيقة والمراد الجديّ، بل نسبه على نحو

التبكيت والاستهزاء بهم، فالنتيجة يكون الاسناد ليس حقيقياً، بل على نحو المجاز، فلمّا أراد المتكلم غير ما هو له في نفس الأمر والواقع، فقد خرج عن الاسناد الحقيقي، نحو قول الكاذب والجاهل[54].

ج- رأي ثالث اختاره بعض المفسرين، وهو أنّ سياق الكلام جاء على صورة الجملة الشرطية المعلقة، فإذا انتفى الشرط، انتفى المشروط أو الجزاء، والجملة: (بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون)، تحكي انّ إخبار ابراهيم عن نسبة فعل التكسير إلى كبير الأصنام بشرط أنهم ينطقون، وبما أنهم لا ينطقون، فلم ينسب ابراهيم الفعل إلى كبيرهم[55]، ولكن المصنف لم يقبل هذا التوجيه؛ لأنّه في الجملة فعلان (فَعَلَه، فاسألوهم)، ومقتضى القاعدة رجوع الشرط على الفعل القريب وليس البعيد، والفعل القريب هو (فاسألوهم)، وتقدير الكلام: اسألوهم إن كانوا ينطقون، وبما أنهم لا ينطقون، فلا يستطيعون سؤالهم، أمّا الفعل الأول البعيد (فَعَلَه) فأصبح منجزاً وليس مشروطاً، فلا يمكن أن نجري عليه شروط الجملة الشرطية المعلّقة[56].

2- **جملة: (قال: إنّي سقيم)**: ورد هذا الكلام عن لسان ابراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ((فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ () فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ () فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ))(الصافات 88-90)، ويُذكر اشكال مفاده: أنّ ابراهيم عليه السلام أخبر القوم بأنّه مريض، والواقع ليس كذلك، وهذه المخالفة بين الكلام والأمر الواقع يُعدُّ كذباً، لا يليق بمقام العصمة للأنبياء، وقد أجاب المصنف بأنّ هذا من قبيل المعاريض في الكلام، والمعاريض: هو أن يقول الرجل كلاماً يقصد به غيره، ويُفهم منه غير ما قُصِدَ [57]، وبالتالي يكون اسناد ابرهيم لنفسه المرض غير حقيقي، بل يدخل ضمن الاسناد المجازي، وبعض المفسرين يرى أنّ قول ابراهيم " اني سقيم" قد يكون اخباراً حقيقياً، ولا يوجد ما ينفي هذا الخبر، وإذا لم يكن مريضاً جسدياً فعلاً، فيمكن حمله على المرض النفسي؛ أي التعب النفسي الذي لاقاه بسبب الممارسات الخاطئة لقومه من الشرك بالله والظلم والفساد؛ فكان هذا الأمرة مدعاة لتعبه النفسي، فأشبه ما يكون الاسناد مجازي، وترتب قوله " اني سقيم" بعد " فنظر نظرة في النجوم "، يوهم باستعماله التنجيم، ولكن الحقيقة أنّه استعمل هذه الطريقة التي كانوا يتبعونها، فكانوا يعتقدون أنّ النجوم تؤثّر في حظوظهم، وكانوا يطلبون منها الخير والبركة، فنظر في النجوم لإقناعهم؛ فتركوه ظناً منهم أنّ نجمه دلَّ على سقمه[58].

3- **جملة: (مسنيَ الشيطان)**: ورد هذا الكلام على لسان النبي أيوب عليه السلام، في قوله تعالى: ((وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ))(ص41)، وظاهر النصّ يوحي بأنّ الشيطان تسلّط على أيوب ومسّه بالضرّ، أي: أنّ فعل المسّ قد أُسند إلى الشيطان، ولكن هذا لا يناسب أي مؤمن، فضلاً عن النبي المعصوم؛ لأنّ الله تعالى نفى سلطة الشيطان على المؤمنين بقوله: ((فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (98) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ))(النحل98-99)، وقد وجّه المصنف النصّ القرآني بما ينسجم وعصمة أيوب عليه السلام الذي مدحه في القرآن: ((إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ))(ص44)، فذكر: أنّ ما مسّ أيوب من المرض والضرّ مستنداً إلى الشيطان على نحو السببية، فاسناد الفعل للشيطان على نحو السبب والتأثير مكان استناده إلى الاسباب الطبيعية، فكما انّ الإنسان يصيبه التعب بسبب العلل المادية، كذلك يصيبه التعب بنحو من مسّ الشيطان، وكلٌ ذلك بإذن الله تعالى ؛ أي أنّ

الفاعل الحقيقي والمسبب الأساس هو الله تعالى قد أصاب عبده بمرض وبلاء ليختبره ويرفع منزلته، ولكن هذا الضرّ والبلاء تارة يكون بسبب توسط علّة مادية، وأخرى بسبب مسّ الشيطان، وهذا التوسط لا يكون في مجال الاضلال أو التصرّف في قلوبهم وعقيدتهم، بل يقتصر على الضرر المادي الجسمانيّ، وقد أنكر الزمخشري هذا الرأي؛ لأنّه يستوجب تسلّط الشيطان على أنبياءه؛ فيقضي من تعذيبهم واتعابهم وطره، ولو قدر على ذلك، لم يدع مؤمناً إلّا وقد نكبه وأتعبه بالمرض ونحوه،، وقد تكرر في القرآن مضموناً: أنّ الشيطان ليس له سلطان على الانسان إلّا الوسوسة[59]، ولكن المصنف يردُّ على الزمخشري بقوله: إنّما يصح قوله فيما إذا كانت للشيطان مقدرة مطلقة على كل الصالحين والمؤمنين، ولكن إذا فرضنا أنّ هذا التسلط خاص على أيوب بإذن من الله تعالى، فلا محذور من هذا الفرض، ومثله ورد في القرآن: ((فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ))(الكهف63)[60]، وذكر المصنف تفسيراً آخرَ لهذا المسّ، وهو أن يكون المراد من مسّ الشيطان هو ووسوسته للناس ليجتنبوا ايوب ويهجروه عندما اشتدّ به المرض والألم، فكان التعيير من الناس والتكلّم سبباً في هذا النصب والعناء والتعب لأيوب عليه السلام، وهو نوع من البلاء ابتلى الله به خاصّة أولياءه، ولا دلالة في الكلام على وقوع العذاب من الله لأيوب عقاباً له، كما فهمه بعضهم، كما وينفي المصنف القصص الإسرائيلية التي تحطّ من مقام النبوة والعصمة، عندما يصفون أيوب بأنّه أُصيب في جسده بحيث تخرج منه الرائحة الكريهة؛ مما نفّر الناس عنه، وهو مما لا دليل عليه لا في القرآن ولا في الأحاديث المفسّرة لهذه الآية، كما أنّ هذا التنفير لا ينسجم مع هدف النبوة بجذب الناس إلى الهدى وطريق الحقّ الذي يمثّله الأنبياء والرسل في وقتهم[61].

رابعاً: الاطلاق (إطلاق الأمر): الإطلاق يقابل التقييد، فالمعنى المطلق هو الذي يلحظ فيه الطبيعة من دون أن يلحظ معها وصف أو حالة أخرى على معناها، أمّا المقيّد فهو الذي يلحظ فيه الطبيعة مع المعنى الخارج عنها[62]، والإطلاق يقتضي التوسعة، أمّا التقييد فيقتضي التضييق في حدود الدلالة[63]، ويتعلّق هذان المصطلحان بالفعل أو ما يشبهه، فإذا كان متعلق الفعل مقيداً بقيد، يُسمى الحدث مقيداً، وإذا فُقد القيد فيُسمّى الحدث مُطلقاً، وقد وظّف المصنف مفهوم الإطلاق في إثبات عصمة الأنبياء عن طريق بعض الأوامر المطلقة، والتي تكشف –بالقرينة العقلية – على عصمتهم، إذ كيف يأمر الله تعالى الناس بالطاعة المطلقة لهم، من دون أن يكونوا معصومين، فلا يقبل العقل أن يأمر الله تعالى بطاعة الرسول في أمور خطأ أو خلاف الخط السماوي المستقيم، وقد أخذت نماذج ذكرها المصنف، منها:

1- **قوله: (أطيعوا الرسول):** في قوله تعالى: ((قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ))(آل عمران 32)، وآيات أخرى ذكرت هذا المعنى، بل قرنت طاعة الرسول مع طاعة الله تعالى في خمسة مواضع من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ))(النساء 59)، وبعض الآيات جعلت طاعة الرسول هي طاعة الله نفسها، كقوله تعالى: ((مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا))(النساء80)، ومعنى (الطاعة): الانقياد، يُقال: طاعَهُ إذا انقاد معه ومضى لأمره [64]، وقد جاء هذا اللفظ (الطاعة) بصيغة فعل الأمر الموجّه لعامّة الناس المُخاطَبين، بقوله (أطيعوا)، و أمرَ القرآن الكريم الناس بالطاعة المطلقة للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلّم، وقد استدلّ المصنف بانّ الأمر

بالانقياد للرسول، بلا قيد أو شرط، يدلُّ بالدلالة الإلزامية على عصمته من الخطأ، وتوضيح ذلك: لو كان بعض ما يدعو له الرسول مخالفاً للواقع، أو على خلاف ما يرضي الله تعالى ؛ لوجب تقييد الدعوة إلى طاعة الرسول بقيد يخرج هذه الصورة، ولكن لمّا أمر الله تعالى بطاعته مطلقاً، من دون قيد أو شرط، دلَّ ذلك على أنّ أوامر النبي صلى الله عليه وآله وسلّم هي مطابقة للواقع ومطابقة لإرادة الله تعالى، فلو كان كل ما يصدر عن النبي من قول أو فعل طيلة حياته مطابقاً لرضى الله تعالى وموافقاً لحكمه، صحَّ الأمر بالاقتفاء المطلق به في القول والفعل[65]، وقد ذكر المفسّرون قبله هذا المعنى، فقد ذكر الفخر الرازي أنّ قوله تعالى: (مَن يطع الله فقد أطاع الرسول) من أقوى الدلائل على عصمة الرسول صلى الله عليه واله وسلّم، فيدلُّ على عصمته في جميع الأوامر والنواهي وكل قول يبلغه للناس؛ لأنّه لو أخطأ في شيء منها، لم تكن طاعته هي طاعة لله تعالى، وأيضاً دلّت الآية على عصمته في أفعاله جميعها؛ لأنّه تعالى أمر بمتابعته: (فاتّبعوه) في قوله تعالى: ((فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)) (الاعراف 158)، فالانقياد والمتابعة له في جميع أقواله وأفعاله، هي طاعة لله تعالى[66]؛ لأنّه ((وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى))(النجم4).

2- (لكم في رسول الله أسوة حسنة): في قوله تعالى: ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا))(الأحزاب21)، والأسوة هو القدوة، وما يكون عليه الانسان في اتباع غيره إن حسناً وإن قبيحاً، وقد وصف الله تعالى التأسي برسول الله بالأسوة الحسنة[67]، وقد جاء التركيب القرآني بصورة الجملة الخبرية، ولكن دخول حرفي التوكيد في (لقد) يومئ إلى خروج الجملة إلى الإنشاء، فيرى ابن عاشور أنّ الجملة تدلُّ على التعريض بالتوبيخ للذين لم ينتفعوا من الرسول كأسوة حسنة، فالكلام فيه تعريض للمنافقين[68]، ويستبعد أبو حيان ذلك الخطاب للمنافقين، ويرى أنّ الخطاب للمؤمنين، بقرينة قوله: (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر)[69]، وقد استعمل الحرف (في) في قوله (في رسول الله)، أي: في ذات رسول الله دون وصف خاص أو قيد معيّن؛ ليشمل التأسيّ في جميع أقواله بالامتثال لأوامره، واجتناب ما ينهى عنه، وكذلك يشمل التأسي بأفعاله وصفاته من الصبر والإيمان والثبات وغيرها[70]، وذكر السيد الطباطبائي أنّ قوله (لقد كان لكم) دالٌّ على الاستقرار والاستمرار في الماضي، وفيه إشارة إلى كونه تكليفاً ثابتاً مستمراً، وهو الاقتداء بالرسول صلى الله عليه واله وسلّم[71]، وقد أفاد المصنف من إطلاق الآية للأمر بالتأسي برسول الله في إثبات عصمة النبي المطلقة، فكونه أسوة حسنة في جميع المجالات، لا يجتمع إلّا مع كونه معصوماً من الخطأ والزلل، فلا يأمرنا الله أن نتبع ونقتدي بشخص تتعارض أوامره وسلوكه مع أوامر وأخلاقيات السماء؛ لأنه يلزم منه اجتماع النقيضين، وهو مُحال، وإذا قال أحدهم: انّه يجب اتباع الرسول فيما وافق الشريعة فقط، ولكن هذا خلاف إطلاق الآية التي أمرت بالاقتداء به على وجه الاطلاق، من دون قيد أو شرط، وكذلك من دون تحديد في المورد، بل مطلقاً في كل شيء يصدر عن الرسول صلّى الله عليه واله وسلّم[72].

نتائج البحث:

1- تميّز البحث العقدي لعصمة الأنبياء في تفسير مفاهيم القرآن، بأسلوب البحث الدلالي الشامل الذي يعمُّ البحث اللغوي وغيره من القرائن في تفسير النص كالروايات والآيات المفسّرة لبعضها، وقد ركّز البحث على الجانب الدلالي للتعبيرات اللغوية في النص القرآنيّ، وكيف أفاد منها المصنف وتوظيفها في الوصول إلى الدلالة.

2- كان عمل المصنف على مستويين: الأول: يخصُّ تفسير دلالات الألفاظ من جهة اللغة والاستعمال القرآنيّ، أي دلالة اللفظ في سياق الآيات القرآنيّة، وقد أفاد من مصادر اللغة، وكذلك أفاد من التفاسير المعتمدة، والمستوى الثاني: يشمل الدلالة التركيبية في النصّ، ونقصد بالتركيبية الذي يتضمن دلالة جملة أو جُمَل، وقد أفاد أيضاً من مصادر التفسير المهمة، وكانت له اجتهادات وآراء يختارها المصنف بحسب قناعته وذوقه الفكري والعقدي.

3- ناقش البحث أدلة ثبوت العصمة للأنبياء بطريقين: الأول: دلالات الألفاظ والجُمل في القرآن التي تؤكد نسبة العصمة لهم كالاجتباء والاصطفاء والاستخلاص، وغيرها، والثاني: نفي ما يتبادر إلى الذهن من عدم عصمة الأنبياء في بعض النصوص القرآنية التي توحي بألفاظها وتركيبها عدم عصمتهم عليهم السلام.

4- استطاع البحث أن يُثبت أدلة عصمة الأنبياء بطريقين: الأول: الألفاظ الدالة على ذلك، التي ذكرها القرآن الكريم في حقّ الأنبياء، مثلاً: (كذلك نصرف السوء والفحشاء عن عبادنا المُخلَصين)، وغيرها، والطريق الثاني: هو نفي شبهة عدم عصمتهم عليهم السلام عن طريق تحليل التركيب الذي كان على أشكال: منه الجملة الشرطية التي ينتفي جزاؤها بانتفاء شرطها، وتعيين الجهة التي يعود إليها الضمير، ونسبة اسناد الفعل إلى فاعله الحقيقي أو المجازي، ودلالة إطلاق الأمر بطاعة الرسول، الذي يدلُّ على عصمته، فكلُّ تلك الآليات اللغوية التركيبية قد أسهمت في حلّ مشكلة توهّم عدم عصمتهم عليهم السلام.

5- كل الآيات التي جاءت توهم عدم عصمة الأنبياء، هي من قبيل الآيات المتشابهات التي يجب ردُّها إلى الآيات المحكمة؛ ليتضح تفسريها، فقد نعت القرآن الكريم الأنبياء بنعوت عظيمة تدلُّ على عصمتهم، منها: (اجتبيناهم، اصطفيناه، هديناهم إلى صراط مستقيم، الصالحين، المُخلَصين، الأخيار، الصادقين، نِعمَ العبدُ، ما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحيُ يوحى)، وهذا التشابه في الآيات وعدم إرجاعها إلى محكماتها، هو السبب في اختلاف الأمّة في تفاصيل وجزئيات تلك المسألة الحسّاسة في حياة الامّة الاسلاميّة، فبعضهم يرى عدم عصمتهم، وبعضهم يرى عصمتهم في التبليغ فقط، وآخرون يعتقدون بعصمتهم المطلقة في جميع الأقوال والأفعال؛ لأنّهم أُسوة وقدوة للناس.

الهوامش:

(1) يُنظر مفاهيم القرآن، السبحاني: 10/3.

(2) موقع الكتروني: مؤسسة الإمام الصادق للدراسات التخصصية –الشيخ جعفر بن محمد السبحاني imam-sdiq-c.com

(3) موقع الكتروني: مؤسسة الإمام الصادق للدراسات التخصصية –الشيخ جعفر بن محمد السبحاني imam-sdiq-c.com

(4) يُنظر الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: 2/ 138.

(5) يُنظر مفاهيم القرآن: 76/5.

(6) يُنظر معجم مقاييس اللغة: 400/2،مادة(رصد).
(7) يُنظر لسان العرب: 177/3، مادة(رصد).
(8) يُنظر المفردات في غريب القرآن: 355، مادة(رصد).
(9) يُنظر التحقيق في كلمات القرآن الكريم: 144/4،مادة (رصد).
(10) يُنظر الكشاف، الزمخشري: 633/4.
(11) يُنظر التحرير والتنوير، ابن عاشور: 249/29.
(12) يُنظر الميزان في تفسير القرآن: 20 / 133، ويُنظر مفاهيم القرآن: 5/ 78.
(13) يُنظر التحرير والتنوير: 249/29.
(14) يُنظر كتاب العين، الفراهيدي: 313/1، مادة (عصم).
(15) يُنظر مقاييس اللغة، ابن فارس: 331/4، مادة (عصم).
(16) يُنظر لسان العرب، ابن منظور: 403/12،مادة (عصم).
(17) يُنظر المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني: 570، مادة (عصم).
(18) يُنظر البحر المحيط، ابو حيان: 4/ 323.
(19) يُنظر التحقيق في كلمات القرآن، مصطفوي: 155/8، مادة (عصم).
(20) يُنظر مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني: 36/5.
(21) يُنظر معجم مقاييس اللغة: 208/2، مادة(خلص).
(22) يُنظر لسان العرب: 26/7،مادة (خلص).
(23) يُنظر المفردات في غريب ألفاظ القرآن: 292، مادة (خلص).
(24) يُنظر التفسير الكبير، الفخر الرازي: 548/21.
(25) يُنظر تهذيب اللغة، الأزهري: 12/ 174.
(26) يُنظر التحقيق في كلمات القرآن: 2/ 52-53، مادة (جبى).
(27) يُنظر لسان العرب: 14/ 131 /مادة (جبو).
(28) يُنظر معجم المصطلحات النحوية والصرفية، د. محمد سمير اللبدي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت –لبنان، 1985م: 114، ويُنظر الجملة الشرطية عند النحاة العرب، أبو أوس ابراهيم الشمسان، ط1، مطابع الدجوى، المملكة العربية السعودية، 1981م: 155-158 و 276-277.
(29) يُنظر مفاهيم القرآن: 5/ 236-239.
(30) يُنظر مجمع البيان في تفسير القرآن: 6/ 278.
(31) يُنظر البحر المحيط: 7/ 89.
(32) يُنظر التحرير والتنوير: 174/15.
(33) يُنظر مفاهيم القرآن: 5/ 233-235.
(34) يُنظر لسان العرب: 620/12، مادة (همم).
(35) يُنظر مجمع البيان في تفسير القرآن: 91/5.
(36) يُنظر شرح المفصّل: 90/5.
(37) يُنظر المنهاج في القواعد والإعراب: 281.

(38) يُنظر مفاهيم القرآن: 5/ 170-173.
(39) يُنظر معاني النحو، فاضل السامرائي: 61-62.
(40) يُنظر النحو الوافي، عباس حسن: 221.
(41) يُنظر الدر المنثور، السيوطي: 4/ 597، ويُنظر الميزان في تفسير القرآن: 11/ 282.
(42) يُنظر الكشّاف، الزمخشري: 2/ 510.
(43) يُنظر مفاهيم القرآن: 5/ 101.
(44) يُنظر المصدر نفسه: 5/ 102-103.
(45) يُنظر الدر المنثور، السيوطي: 7/ 177.
(46) يُنظر في ظلال القرآن، سيد قطب: 5/ 3020.
(47) يُنظر مجمع البيان في تفسير القرآن: 8/ 358-359.
(48) يُنظر مفاهيم القرآن: 5/ 201-203.
(49) يُنظر النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق، حسن الجناحي: 143.
(50) يُنظر البحر المحيط: 448/7.
(51) يُنظر الكشّاف: 124/3، ويُنظر مفاهيم القرآن: 5/ 158.
(52) يُنظر مختصر المعاني، التفتازاني: 30/1.
(53) يُنظر الكشّاف: 4/ 539.
(54) يُنظر المطوّل، التفتازاني: 61.
(55) يُنظر البحر المحيط: 448/7.
(56) يُنظر مفاهيم القرآن: 5/ 159-160.
(57) يُنظر المصدر نفسه: 5/ 162.
(58) يُنظر الأمثل في تفسير الله المُنزل: 14/ 347.
(59) يُنظر الكشّاف: 97/4.
(60) يُنظر مفاهيم القرآن: 5/ 217-218.
(61) يُنظر المصدر نفسه: 5/ 218-219.
(62) يُنظر دروس في علم الأصول، السيد محمد باقر الصدر: 1/ 232.
(63) يُنظر المعجم الأصولي، محمد صنقور: 1/ 285.
(64) يُنظر معجم مقاييس اللغة: 3/ 431، مادة (طوع).
(65) يُنظر مفاهيم القرآن: 5/ 91-92.
(66) يُنظر التفسير الكبير: 10/ 149.
(67) يُنظر المفردات في غريب القرآن: 76، مادة (أسو).
(68) يُنظر التحرير والتنوير: 21/ 302.
(69) يُنظر البحر المحيط: 466/8.
(70) يُنظر التحرير والتنوير: 21/ 302-303.
(71) يُنظر الميزان في تفسير القرآن: 16/ 288.

(72) يُنظر مفاهيم القرآن: 5/ 93.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

1- الأمثل في كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ط1، دار احياء التراث العربي، بيروت-لبنان، 2002م.

2- البحر المحيط، محمد بن يوسف أبو حيان االاندلسي(ت745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل العطار، دار الفكر، بيروت-لبنان، 2000م.

3- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور(1393هـ)، دار التونسية، تونس، 1984م.

4- التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن مصطفوي (ت1426هـ)، ط1، وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي، طهران-ايران، 1409هـ.

5- التفسير الكبير، الفخر الرازي(ت606هـ)، ط3، دار احياء التراث العربي، بيروت-لبنان، 1420هـ.

6- الجملة الشرطية عند النحاة العرب، أبو أوس ابراهيم الشمسان، ط1، مطابع الدجوى، المملكة العربية السعودية، 1981م.

7- الدر المنثور، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، دار الفكر، بيروت-لبنان، (د-ت).

8- دروس في علم الأصول، السيد محمد باقر الصدر، مؤسسة النشر الاسلامي، قم -ايران، 1418هـ.

9- شرح المفصّل للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش، موفق الدين الموصلي (ت643هـ)، تحقيق: د. اميل بديع يعقوب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2001م.

10- كتاب العين، الخليل الفراهيدي(ت170هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي و د. ابراهيم السامرائي، دار الهلال، (د-ت).

11- الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت538هـ)، تحقيق: مصطفى حسين أحمد، ط3، تدار الريان للتراث، القاهرة -مصر، 1987م.

12- لسان العرب، جمال الدين ابن منظور الأفريقي(ت711هـ)، ط3، دار صادر، بيروت-لبنان، 1414هـ.

13- مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي(ت548هـ)، ط1، مؤسسة الاعلمي، بيروت-لبنان، 1995م.

14- مختصر المعاني، سعد الدين، مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازاني (793هـ)، ط1، دار الفكر، قم -ايران، 1411هـ.

15- المطوّل، سعد الدين، مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازاني (793هـ)، مكتبة الداوري، قم -ايران، (د-ت).

16- معاني النحو، فاضل السامرائي، ط1، دار الفكر، الأردن، 2000م.

17- المعجم الاصولي، محمد صنقور البحراني، ط2، مطبعة العترة، قم –ايران، 1326هـ.
18- معجم المصطلحات النحوية والصرفية، د. محمد سمير اللبدي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت –لبنان، 1985م.
19- معجم مقاييس اللغة، ابو الحسين أحمد بن فارس(ت 395هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هاروت، ط2، دار الفكر، بيروت–لبنان، 1972م.
20- مفاهيم القرآن، العلّامة جعفر السبحاني، ط3، مؤسسة الإمام الصادق(عليه السلام)، قم –ايران، 1427هـ.
21 – المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني(ت502هـ)، تحقيق، صفوان عدنان داوودي، ط1، دار القلم، دمشق، 1412هـ.
22- المنهاج في القواعد والإعراب، محمد الانطاكي، ط5، ناصر خسرو، قم –ايران، (د–ت).
23- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الاعلمي، بيروت–لبنان،(د–ت).
24- النحو الوافي، عباس حسن، ط1، مكتبة المحمدي، بيروت –لبنان، 2007م.
25- النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق، حسن بن اسماعيل الجناحي (ت1429هـ)، ط1، دار الطباعة المحمديّة، القاهرة –مصر، 1983م.

المواقع الألكترونية:

موقع الكتروني: مؤسسة الإمام الصادق للدراسات التخصصية –الشيخ جعفر بن محمد السبحاني –imam–sdiq–c.com